مجلة الرائد

العدد : ١٩٣ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١٠ ميلادي

عنوان المقال : صور عملية من الخطاب الإسلامي	بقلم : منى طيبة

ذكرت الأخت الفاضلة منى طيبة في افتتاح الملتقى السنوي الثاني والعشرين للأخوات صوراً للخطاب الإسلامي من واقع الممارسة . دعت من خلالها لى "التعاون" بين المسلمين ، وإلى : "الانفتاح" الواعي البصير على غيرهم في الغرب . معتبرة ذلك من ضرورات العمل الإيجابي المثمر.

إننا نتحدث في لقائنا هذا عن الخطاب الإسلامي في الغرب من خلال تجربة وتربية دامت سنوات طويلة على البرنامج الثقافي الذي أشرف الأستاذ الكبير والمربي الخبير عصام العطار جزاه الله خيراً على إعداده . هذا البرنامج هو الذي أنشأنا على احترام العلماء وأصحاب الخبرات وتقديمهم على من سواهم ، وعلى ضرورة الاستفادة من فكر غيرنا والتعاون معهم فيما لا يتعارض مع مبادئنا وأسسنا ، وهو الذي أصّل لدينا - أننا جماعة من المسلمين ولسنا جماعة المسلمين - وأنه لا بد لنا من التكامل مع غيرنا من أجل إيصال هذه الدعوة خالصة نقية من الشوائب والعادات الدخيلة على الإسلام ، كما أنشأنا وربانا أيضاً على ضرورة إبداء الرأي وإعمال الفكر ونبذ الاتباع الأعمى.

ثم ضربتْ أمثلة فقالت :

١- عندما تكون المجلس الأعلى للمسلمين ، وكان اسمه عند تكوينه سنة ١٩٨٦م " حلقة العمل الإسلامي " ، وطرح الدكتور نديم إلياس مسألة التعاون مع جميع الشرائح الإسلامية العاملة الموجودة في الساحة الإسلامية مع مراعاة احتفاظ كل منظمة بهويتها والاستفادة من تجربة المؤسسات ، ودعا ممثلو منظماتنا الإخوة في المنظمات الأخرى إلى التعاون الجاد للنهوض بحاجيات الجالية المسلمة

والمسلمين الألمان وأولئك الذين نالوا الجنسية وأصبحت هذه البلاد بلادهم ، والذين أصبح من واجبهم المطالبة بحقوقهم كغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في هذا المجتمع ، تجاوبت الأغلبية مع هذا الطرح ومع هذا الهدف الصائب ؛ وعقدوا لقاءات منتظمة يتدارسون فيها أموراً تتعلق بالمصلحة العامة والخطوط العريضة... التي تجمع كل شرائح المسلمين ، مثل : الذبح الشرعي ، وتوحيد مطالع الأهلة للشهور لكي تتوحد المنظمات في احتفالها بأعياد الفطر والأضحى ، والمطالبة بتدريس الإسلام بشكل نظامي ووفق المنهج الذي يضعه المسلمون أنفسهم . ووجدت هذه المطالب موافقة عامة من قبل الجميع ، واستمرت هذه اللجنة متعاونة ، وعملت هذه اللقاءات على تقريب وجهات النظر وألفت بين القلوب وأزالت ما كان من سوء تفاهم وأحكام مسبقة بين المسلمين . بعد ذلك اتفق المجتمعون على تأسيس " المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا " ، وكان انتخاب الدكتور نديم إلياس رئيساً للمجلس من قبل الروابط والمراكز التي تمثل مختلف الجنسيات والاتجاهات نتيجة ذلك الانفتاح الذي صاغ عليه البرنامج الثقافي الجيل الأول ، وهو الذي دعا المسؤولين إلى العمل حالياً على وضع برنامج ثقافي مشابه له باللغة الألمانية للشبيبة فتية وفتيات . وكلنا أمل ورجاء أن يستفيد من ذلك أبناؤنا ، وبناتنا وأن ينشأ عليه أجيال تلتقي على الله وتتكامل جهودها بعيداً عن العنصرية والعصبية العرقية أو الحركية الضيقة.

٢- وقد تكون مجلس التعاون الإسلامي في أوروبا عام ١٩٩٦م على هذه المبادئ ومن أجل تحقيق هذه الأهداف على نطاق الساحة الأوروبية ، وهي النهوض بالواجبات الإسلامية وتأمين حاجات المسلمين في الغرب مع تنمية القدرات ودعمها من أجل التعاون على نطاق أكبر وأعم.

٣- إن هناك أمثلة واضحة تدل على تجاوب هذا المجتمع - الغربي - مع انفتاحنا نحن المسلمين عليه . وأحد هذه الأمثلة هو إعطاء جائزة " كارل كوبل " لمؤسسة مسلمة في هذا العام ١٩٩٧ فقد اختارت لجنة التحكيم - التي يشارك فيها المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ، بالإضافة إلى عدد من شخصيات الحياة العامة والإعلام وممثلي الطوائف الدينية - مشروع " المسجد المفتوح " المقدم من معهد الدراسات الألمانية التركية الملحق بمسجد مانهايم لجائزة هذا العام من بين عدة مئات من المشاريع التي تنطبق عليها الشروط. وفلسفة هذه المبادرة تكمن في نقل التصور " الداخلي" للمسجد إلى المجتمع " الخارجي" والتعبير من خلال الباب المفتوح والأيدي الممتدة والصدور المنفتحة - كما يقول المشرفون عليه - عن الرغبة الصادقة في التلاقي مع المجتمع الآخر والتعاون معه.

ويعني هذا التحديد أن يكون المسجد كل يوم وفي جميع نشاطاته وفعالياته مفتوح الأبواب لكل زائر دون تقييد . وأن يتم التلاقي من خلال ندوات تشرف عليها لجان مشتركة بين المسلمين وغير المسلمين... وكان نتيجة ذلك أن احتفل المسجد مؤخراً بالزائر رقم مائة ألف بعد مرور أكثر من عامين على بداية المشروع ، أي بمعدل مائة زائراً يومياً. ولقد تمكن المسلمون من خلال القاء المباشر والحوار البناء من تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة والأحكام المسبقة ضد الإسلام ، متبعين في ذلك قول الله تعالى : { **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** }.

٤- ومثال آخر هو يوم المسجد المفتوح الذي دعا إليه المجلس الأعلى للمسلمين في أمانيا سائر المساجد الموجودة في ألمانيا يومي ٣ و ٤ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٧م ضمن فعاليات العام الأوروبي ضد العنصرية ، وفعاليات مهرجان الأجانب والتبادل الحضاري السنوي. وقد وجدت هذه المبادرة تجاوباً كبيراً ليس من مئات المساجد في ألمانيا فحسب ، بل من كثير من الجهات السياسية والصحفية والكنسية التي ستقوم بدعم المشروع والتفاعل معه.

إننا عندما نهتم بمن حولنا من الناس والفئات المغايرة لنا في الدين ، فإننا نكون متبعين في ذلك لصميم عقيدتنا ولسنة نبينا محمد ﷺ ، ولقوله سبحانه وتعالى : { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** } . ولكي نكون فعالين ومؤثرين في المجتمع يجب علينا أن نعلم أبناءنا اللغة العربية التي بها يستطيعون الوصول إلى أمهات كتب الدين الإسلامي ، ولكي يتمكنوا من شرحه بوضوح وتفصيل معبرين عن اهتمام المسلمين بمن حولهم ، والحوار معهم ، والتعايش العادل معهم ، واحترام عقائدهم وإعطاءهم حقوقهم.

وسيلتنا الأولى من أجل ذلك هي دعوة أبنائنا إلى إجادة لغة هذه البلاد ، لكي يتمكنوا من إيصال هذه الثقافة إلى غيرهم من خلال تجسيدهم الإسلام الحنيف ، الذي يربيهم على وجوب بر الجار مهما كانت اعتقاداته ، وإخلاص العمل ، وأمانة التعامل ، والصدق في إسداء النصيحة... كل هذه الأمور السلوكية التي تتطلب منا منطقياً الانفتاح على الآخرين ممن حولنا ومشاركتهم أفراحهم ومشاطرتهم أحزانهم والعمل على إصلاح المجتمع بالتعاون معهم.

وهذا يتطلب منا إعداد أجيالنا إعداداً مناسباً يمكنهم من القيام بهذا الدور الهام ، فلا يكفي أبداً أن نقول الحمد لله نحن مسلمون ! ولا نبالي بمن حولنا ، إن هذا ليس هو سلوك المسلم الصادق مع الله ، إننا

نعيش في مجتمع يضمن لنا قانونه الأساسي حقوقاً ويمكن كل فرد فيه من المطالبة بحقوقه من خلال القضاء بغض النظر عن دينه أو لونه أو عرقه.

فكيف بالله عليكن لا نقف الموقف الإيجابي الذي يفرضه الإسلام تجاه من يعيش معنا في مجتمع واحد ؟!.

إننا عندما نقوم بتنظيم أندية شبابية هدفها ملء أوقات الفراغ بما هو مباح من الرياضة والأشغال اليدوية المباحة وتنميتها ؛ لنوجد البديل المناسب عن تعاطي المخدرات والكحول ، وعندما نهيىء ذلك للجنسين ، لا نكون قد كفلنا ذلك لأبناء المسلمين وقمنا بواجبنا الإسلامي تجاههم فحسب ، بل نكون قد أتحنا فرصة تلاق إيجابي في المجتمع مع غيرنا.

٥- وهناك تجربة أخرى يستفاد منها دروس عديدة : لقد ساهم المسلمون في إعداد برنامج مؤتمر الكنيسة هذا العام ، وقاموا بإعطاء محاضرات عن الإسلام وموقفه من الحوار مع الأديان الأخرى والعقائد المختلفة . وكانت هناك فرصة لتعريف عامة الناس بأسلوب هذا الدين وسماحته مع العقائد الأخرى ، بعد أن حجب أبناؤه نوره بسلوكهم ، فأصبح عامة الناس لا يعرف عن المسلمين إلا ما تبثه أجهزة الإعلام من صور مشوهة مغايرة للحقيقة ، مما يسبب صعوبة في التفاهم بين المسلمين وبين أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه.

ومن خلال مشاركة المسلمين هذه السنة في وضع برنامج مؤتمر الكنيسة البروتستنتية استطاعوا أن يطالبوا بقاعة لأداء صلاة الجمعة فيها ، وذلك لأن المؤتمر تخلله يوم جمعة.

وتم لهم ذلك ، وامتلأت أطراف القاعة بأعداد كبيرة من غير المسلمين الذين أتوا لمشاهدة صلاة المسلمين الذين جُعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً ، وسمعوا خطبة الجمعة التي ألقاها أخ ألماني مسلم درس الشريعة في المدينة المنورة ، وهو عضو في المجلس الأعلى للمسلمين ورئيس مؤسسة لها دور كبير في بناء الأسرة والنهوض بأعبائها ، هو الأخ محمد صديق . وهكذا استطاع المسلمون من خلال انفتاحهم وحوارهم أن يقوموا بواجب الدعوة وأن يعطوا صورة واقعية عملية عن ممارستهم لشعائر دينهم.

٦- ومع مثل آخر : لقد طالبنا مدينة آخن بتصريح لفتح حضانة تحت نفقة الدولة على أن يكون القائمون عليها والموجهون هم المسلمين وأن تكون أولوية القبول فيها لأبناء المسلمين مع إمكانية قبول أبناء غير المسلمين من شرائح المجتمع ، وعلى أن تكون اللغة الأساسية فيها اللغة الألمانية وأن يسمح

فيها بلغات أخرى وأن تعمل فيها مربيات مسلمات . ونحن جادون في السعي لتحقيق هذا المشروع بإذن الله.

٧- إن مسجد بلال يزوره سنوياً للتعرف على الإسلام من المدارس والجمعيات والمنظمات أكثر من مائة مجموعة ، وهذا كله يدخل في باب التعريف بالإسلام والانفتاح على من حولنا .

٨- ولاتحاد الطلبة المسلمين اهتمام كبير بالطلبة الجدد بالإضافة إلى تنظيم أسبوع ثقافي بالتعاون بين المسجد والجامعة . وقد ألقيت بعض المحاضرات في المسجد وبعضها في الجامعة ، ويدعى لهذا الأسبوع أساتذة ليس فقط من المسلمين المتخصصين في مجالات علمية ، بل أيضاً أساتذة من المتخصصين من غير المسلمين . ويكون المشاركون كالعادة من شرائح المجتمع المختلفة من المسلمين وغيرهم.

إن قضية التعليم قضية جوهرية في حياتنا نحن مسلمي المغترب . وللمسلمين وفق نظم هذه الدول الحق في مدارس خاصة بهم يقومون بإدارتها ، الأولوية فيها لأبناء المسلمين ثم لبقية الناس ممن هم حولنا . مثلما يتمتع بهذا الحق كثير من الفئات الدينية الأخرى.

لذلك يجب علينا أن نعرف من نخاطب بقضايانا هذه ، وأن نخاطبهم بالخطاب الذي يفهمونه.

ولذلك تضمن برنامج الملتقى محاضرة بعنوان " مشاكل التعليم العربي والإسلامي في المساجد " لما لهذا الموضوع من أهمية في حوارنا مع الآخرين. إذ كيف نوجه أبناءنا للحوار وهم لا يعلمون شيئاً كافياً عن دينهم ! إن أبناءنا في حاجة ماسة إلى العلم النظري والتطبيق العملي. " الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل " ، وهذا التطبيق لا يتم إلا في الجمعيات والمساجد ، ونحن النساء عندما نعالج مثل هذا الموضوع إنما نعالجه معالجة الأصيل وليس الدخيل ، فالمرأة هي المربية ، والموجهة ، والمعلمة في المدرسة ، وهي نصف المجتمع ، وهي التي تلد نصفه الآخر.

والله نسأل أن يعيننا على القيام بواجباتنا خير القيام وأن يوفق ملتقانا هذا وأن يجعله حافزاً على متابعة العمل في سبيل الله على بينة وبصيرة { **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** }